نفح مهد العبقري بالأزاهر

من

شرح عقد الأشعري بنظم

ابن عاشر

شرحه :

عادل بن شعيب شلاّر الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي هدى المكرمين إلى أحسن الاعتقاد ، وأرسل للناس رسلاً يخبرونكم بما يطمئن النفس و الفؤاد ، من أمور الغيب في كل سماء وأرض وواد ، والصلاة والسلام على خير العباد ، الذي وضح للبرية طريق الرشاد ، وسار على هداه كل عالم موفق من الزهاد والعبّاد ، في السهول والوهاد والنجاد ، ومن هؤلاء العلماء الموفقين رجل قام ينصر دين الله كالآساد ، يدعى أبا الحسن الأشعري طيب الذكر في كل ناد ، وجرى الأئمة على طريقته في نصر سنة شفيعنا يوم التناد ، وكان ممن سار على مذهبه سير رغبة واعتقاد ، سيدي عبد الواحد بن عاشر المسبح الحمّاد ، وقد نظم نظماً في مذهب الإمام مالك الذي ضربت لنيل فقهه الأكباد ، وفي عقد الأشعري الذي

ثبّت الله به للسنة المطهرة الأوتاد ، وفي طريقة الجنيد من أهل الولاية والإمداد ، فيا ربنا اجعلنا من أهل السعادة والوداد ، واغفر لنا وارحمنا واستر علينا يوم يقوم الأشهاد ، واكتب لنا الفوز بشفاعة الحبيب الشاكر السجّاد ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وآباءنا والذراري والأحفاد ، وبعد :

سألني بعض الأخوان أن أكتب لهم شرحا لطيفاً سهلاً للقسم الأول من نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، وهو القسم الخاص بعلوم العقيدة الإسلامية على طريقة الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، فأجبتهم إلى طلبهم ، وكتبت شرحاً مختصراً سهل التناول والفهم للمبتدئين في العلم الشرعي وسميته (نفح مهد العبقري بالأزاهر من شرح عقد الأشعري بنظم ابن عاشر) ومعنى تسميته هو تطيب المجلس

الذي يجلسه السيد بعطر الأزاهير من الفوائد والعلوم المبثوثة في نظم الشيخ ابن عاشر رحمه الله تعالى .

وأسأل الله تعالى أن يتقبله مني ويضع له القبول عند طلاب العلم وتعم به الفائدة للناس ، ويتوب المخالفون للأشاعرة من بركات النظم وبركة محبة الشارح لأهل العلم والصلاح .

لافتة :

كان أبو الحسن الأشعري من متكلمي ومنظري المعتزلة ، فأدركته العناية الإلهية فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وعلمه البراهين وأمره أن ينصر سنته المطهرة ، فتاب وانخلع من مذهب المعتزلة وراح ينصر دين الله حتى رفع الله لواءه وجعله إمام أهل السنة والجماعة منذ القرن الرابع الهجري وأجمع العلماء الصالحون على إمامته صحة طريقته .

سرد النظم

١ -يقولُ عبدُ الواحدِ بنُ عاشرِ ** مبتدئاً باسمِ الإلهِ القادرِ

٢ - الحمدُ للهِ الذي علمنا ** مِنَ العلومِ ما بهِ كلَّفنا

٣ - صلّى وسلّمَ على محمدِ ** وآلهِ وصحبهِ والمقتّدي

٤ - وبعدُ فالعونُ مِنَ اللهِ المجيدْ ** في نظمِ أبياتٍ للاميِّ تفيدْ

٥ - في عَقْدِ الاشعريْ وفقهِ مالكِ ** وفي طريقةِ الجُنيدِ السَّالكِ

٦ - وحكمُنا العقليْ قضيةٌ بلا ** وقفٍ على عادةٍ أو وضعٍ جلا

٧ - أقسامُ مقتضاهُ بالحصرِ تُمَازْ ** وهي الوجوبُ الاستحالةُ والجوازْ

٨ - فواجبٌ لا يقبلُ النفيَ بحالْ ** وما أبى الثبوتَ عقلاً المُحالْ

٩ - وجائزاً ما قبِلَ الأمرين سِمْ ** للضّروريْ والنظري كلٌ قُسِمْ

10- أولُ واجبٍ على مَنْ كُلِّفا ** مُمَكَّناً من نظرٍ أنْ يعرفا

١١ -اللهَ والرسُلَ بالصفاتِ ** ممّا عليها نصَّبَ الآياتِ

١٢ -وكلُّ تكليفٍ بشرطِ العقلِ ** معَ البلوغِ بدمٍ أوْ حَملِ

١٣ -أو بمنيٍّ أو بإنباتِ الشَّعَرْ ** أوْ بثمانِ عشْرةٍ حولاً ظهرْ

١٤ -يجبُ للهِ الوجودُ والقدمْ *** كذا البقاءُ والغنى المطلقُ عَمْ

١٥ -وخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بلا مِثالْ *** ووحْدةُ الذاتِ ووصْفٍ والفِعَالْ

١٦ -وقدرةٌ إرادةٌ علمٌ حياةْ *** سمعٌ كلامٌ بصرٌ ذي واجباتْ

١٧ -ويستحيلُ ضدُّ هذهِ الصِّفاتْ ** العدَمُ والحدوثُ ذا للحادثاتْ

١٨ -كذا الفنا والافتقارُ عُدَّه ** وأنْ يُمَاثَلَ ونفيُ الوَحدَهْ

١٩ -عجزٌ كراهةٌ وجهلٌ ومماتْ ** وصَمَمٌ وبَكْمٌ عَمىً صُمَاتْ

٢٠ -يجوزُ في حقّهِ فعلُ الممكناتْ ** بأسرها وتركُها في العَدَمَاتْ

٢١ -وجودُهُ لهُ دليلٌ قاطعْ ** حاجةُ كلِّ مُحْدَثٍ للصّانعْ

٢٢ -ولوْ حدثتْ لنفسها الأكوانُ ** لاجتمعَ التساوِي والرُّجحانُ

٢٣ -وذا محالٌ وحدوثُ العالَمِ ** من حَدَثِ الأعراضِ مع تلازُمِ

٢٤ -لو لم يكُ القِدَمُ وصفهُ لزِمْ ** حدوثُهُ ، دورٌ تسلسلٌ حُتِمْ

٢٥ -ولو أمكنَ الفناءُ لانتفى القِدَمْ ** ولوْ ماثلَ الخلقَ حدوثُهُ انحتمْ

٢٦ -لوْ لمْ يكُنْ لهُ وصفُ الغنى افتقرْ ** لو لمْ يكُنْ بواحدٍ لما قَدَرْ

٢٧ -لوْ لمْ يكُنْ حياً مريداً عالماً ** قادراً لَمَا رأيتَ عالَماً

٢٨ -والتالي في الستَّ القضايا باطلُ ** قطعاً مقدَّمٌ إذاً مُمَاثِلُ

٢٩ -والسَّمْعُ والبَصرُ والكلامُ ** بالنقلِ مَعْ كمالِهِ تُرَامُ

٣٠ -لوِ استحالَ ممكنٌ أوْ وجبا ** قلبُ الحقائقِ لزوماً أوْجبا

٣١ ويجبُ للرُسْلِ الكرامِ الصدقُ ** أمانةٌ تبليغُهُمْ يَحِقُّ

ويجبُ للرُسْلِ الكرامِ الصدقُ ** أمانةٌ تبليغُهُمْ يَحِقُّ

٣٢ محالٌ الكذبُ والمنهيُّ ** كعَدَمِ التبليغِ يا ذكيُّ

٣٣ يجوزُ في حقهِمْ كلُّ عَرَضْ ** ليسَ مؤدِّياً لنقصٍ كالمَرَضْ

٣٤ لوْ لمْ يكونوا صادقينَ لَلَزِمْ ** أنْ يكْذبِ الإلهُ في تصديقهِمْ

٣٥ إذْ معجزاتُهم كقولِهِ : وَبَرّْ ** صدقَ هذا العبدُ في كلِّ خبرْ

٣٦ لو انتفى التبليغُ أو خانوا حُتِمْ ** أنْ يُقلَبَ المنهيُّ طاعةً لهُمْ

٣٧ جوازُ الاعراضِ عليهمْ حجّتُهْ ** وقوعُها بهِمْ ، تَسَلٍّ حكمتُه

٣٨ وقولُ لا اله إلاّ اللهُ ** محمدٌ أرسلهُ الإلهُ

٣٩ يجمعُ كلَّ هذه المعاني ** كانت لذا علامةَ الإيمانِ

٤٠ وهي أفضلُ وجوهِ الذكرِ ** فاشتغلْ بها العمرَ تفُزْ بالذُّخرِ

٤١ فصلٌ وطاعةُ الجوارحِ الجميعْ ** قولاً وفعلاً هو الاسلامُ الرفيعْ

٤٢ قواعدُ الإسلامِ خمسٌ واجباتْ ** وهي الشهادتان شرطُ الباقياتْ

٤٣ ثمّ الصلاةُ والزكاةُ في القطاعْ ** والصومُ والحجُّ على من استطاعْ

٤٤ الايمان جزمٌ بالإلهِ والكتبْ ** والرسْلِ والأملاكِ معْ بَعثٍ قَرُبْ

٤٥ وقدَرٍ كذا صراطٌ ميزانْ ** حوضُ النبيِّ جنةٌ ونيرانْ

٤٦ واما الاحسان فقال من دراه ** أن تعبد الله كأنك تراه

٤٧ إن لم تكن تراه إنه يراك ** والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك

ولنشرع الآن في الشرح بعون الله الفتاح ذي الأمداد ، اللهم علمنا ما يفعنا وانفعنا بما علمتنا وافتح علينا فتوح العارفين اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحَزْن إذا شئت سهلاً ، سهل علينا أمر الشرح مع الراحة لقلوبنا وأبداننا :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عاشر رحمه الله :

يقولُ عبدُ الواحدِ بنُ عاشرِ * مبتدئاً باسمِ الإلهِ القادرِ**

الشرح :

بدأ المؤلف بالتعريف عن نفسه ليثبت نسبة النظم إليه ، فيكون معرفة ناظمه سبباً في نشر العلم الذي فيه وقبوله عند العامة والخاصة .

والمؤلف هو : العالم الفاضل التقي الزاهد النقي أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ولد بفاس سنة 990 هجرية ورحل في طلب العلم إلى الشرق ، ثم عاد إلى فاس وصار يدرس فيها العلم حتى مات سنة 1040 هجرية ، ومن مؤلفاته منظومة المرشد المعين وقد كتب الله لها الشهرة عبر العصور .

ومن السنن أن يبدأ العالم التأليف مستعينا متبركا ومستفتحاً باسم الله الرحمن الرحيم ولأن النبي صلى الله عليه وسلم : ((كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر)) رواه احمد والنسائي

وقد اختار ابن عاشر اسم الله القادر للقافية لسببين :

الأول : هو إعلان العجز والانكسار في حضرة الله فان صفة الله القادر تقابلها صفة العجز في العبد فكأنه يقول : (يا قادر أعن هذا العاجز على الأمر الذي تصدى له وافتح عليه من فتوح العلم) والعويدل العاجز أيضاً يا رب يستفتح به فاعنه على الشرح وافتح له أبواب رحمته وخزائن علمك

والثاني: لأن اسم القادر على وزن عاشر وهو أنسب الأسماء لقافية البيت

قال ابن عاشر رحمه الله :

الحمدُ للهِ الذي علّمنا ** مِنَ العلومِ ما بهِ كلَّفنا

صلّى وسلّمَ على محمدِ ** وآلهِ وصحبهِ والمقتّدي

الشرح :

الحمد كله واجب لله فهو المستحق لكل حمد ، والحمد هو الثناء الجميل باللسان على أفعال الله سواء المحبوب منها والمكروه فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، أما الشكر فهو الثناء بالقول والفعل على النعم فقط .

ومن النعم التي يحمد الله عليها تشرف عباده بالعلم ورفعهم به درجات في الجنة وجعلهم في منازل القرب من الله العليم الحكيم .

وقال ابن عاشر :(علّمنا) ولم يقل (علمني) لأن العلم المقصود بيانه في ذلك النظم ليس علماً خاصاً بالناظم دون غيره إنما هو علم عام لكل المسلمين المكلفين وهذا العلم هو مهمات الدين التي لا يسع المسلم جهلها وهو علم الاعتقاد والحلال والحرام وعلم تزكية النفوس .

وفي صيغة (علمنا) تبرك بمعية العلماء كقول المصلى (اهدنا الصراط المستقيم) ففيه تبرك المصلي بالداعين المصلين معه .

وصلاة الله هي الرحمة والمغفرة الإكرام والتشريف لهذا العبد الكريم و سلام الله على النبي صلى الله عليه وسلم هو تحية له عليه الصلاة والسلام يلقيها الله عليه على كل لسان في اللأكوان كملائكته وعباده الصالحين وما شاء من المخلوقات كسلام الشجر والدواب والحجر على النبي صلى الله عليه

وسلم ، ومن سلام الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فمن معاني سلام الله عليه عطاؤه لعبده المقرب صلى الله عليه وسلم حتى يرضى فلا يسوؤه في أمته فيجعله سالماً من كل سوء في الدنيا والآخرة ويجعل أمته المسلّمة عليه سالمة من العذاب بشفاعته لهم .

وهذه الصلاة الربانية تعم بركاتها آل النبي صلى الله عليه وسلم وهم أقاربه من بني هاشم ، وتعم أصحابه وهم الذين لقوا النبي صلى الله عليه وس لم وماتوا على الإيمان ، وتعم جميع الذين اتخذوا النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه قدوة لهم .

قال ابن عاشر رحمه الله :

وبعدُ فالعونُ مِنَ اللهِ المجيدْ في نظمِ أبياتٍ للاميِّ تفيدْ**

الشرح :

(وبعد) الواو نائبة عن عبارة (مهما يكن من شيء) يعني مهما يكن من شيء بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعون من الله المجيد ..

(بعد) ظرف مكان مقطوع عن الإضافة لفظاً لا معنى لذلك هو مبني على الضم وتستعمل في الخطب والكلام الفصيح ، لقطع الكلام والانتقال إلى كلام جديد .

(فالعون) الفاء واقعة في جواب الشرط (مهما يكن من شيء) فالعون من الله المجيد : أي فالعون مرجو ومطلوب من

الله المجيد ، والمجيد هو الذي لا نهاية لمجده أي لا نهاية لجلال عظمته وكمال قوته وسلطانه وجمال كرمه وإحسانه ، ومن كان هذا شأنه فالعون منه يكون كاملاً بالغاً لتحقيق أفضل ما يرجوه العبد من ربه المعين .

للامي تفيد : تقرأ (للامي) بتسهيل الهمزة لمناسبة وزن البحر ، ولما كان النظم فيما يجب على جميع المكلفين عوامهم وخواصهم ، كان لا بد من الإشارة إلى العوام حتى لا يفوتهم النفع من هذه الأبيات ولولا هذه الإشارة ، لظن العوام أن هذا النظم خاص بالعلماء فقط فيفوتهم الاهتمام بها وتقلوهم فائدتها .

وأسأل الله أن يكون شرحي مناسبا لأكبر قدر من العوام ، ويحقق الله لهم به فوائد كثيرة .

قال ابن عاشر رحمه الله :

في عَقْدِ الاشعريْ وفقهِ مالكِ وفي طريقةِ الجُنيدِ السَّالكِ**

الشرح :

في عقد : العقد بفتح العين وسكون القاف هو العهد ومعتقد الإنسان

الأشعري : نقرأها بتسهيل الهمزة وسكون الياء دون تشديد ولا تحريك وذلك لسلامة الوزن ، ويعني أن الأبيات التي نظمتها مفيدة للمبتدئ بتعلم معتقد السلف الصالح وقد نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأنه قام بالانتصار له وقمع خصوم ذلك المعتقد ، وقد نشأ الإمام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة حتى أصبح ذا شأن فيهم ، ثم تاب الله عليه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره

بنصر سنته ، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم قواعد نصر الدين ، فقام وأعلن انخلاعه من مذهب المعتزلة وتلا على الناس اعتقاده الجديد الموافق لاعتقاد أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، ثم قام بمجادلة المعتزلة وغلبهم بما عنده من الحجج والبراهين ، ومن الأسرار التي جعلت لأبي الحسن لواءً إلى اليوم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح الأشعريين برقة القلب والفقه بالدين ، فلما كان أبو الحسن من ذرية الصحابي أبي موسى الأشعري ، فقد لحقته بركة دعوات النبي صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم انتصار مذهبه على يد أحد الأشعريين .

وفقه مالك : أي تفيد المبتدئ بتعلم الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه .

وفي طريقة الجنيد : أي تفيد هذه الأبيات بتعلم منهج العمل على تصفية القلب وتحليته بحسب طريقة الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه .

قال ابن عاشر رحمه الله :

وحكمُنا العقليْ قضيةٌ بلا **وقفٍ على عادةٍ أو وضعٍ جلا

الشرح :

(العقلي) تقرأ بالياء المدية الساكنة فالياء هنا غير مشددة لمناسبة الوزن (عادة أو) تقرأ (أو) بتسهيل الهمزة لمناسبة الوزن

تمهيد حول معنى البيت :

الحكم ثلاثة أنواع :

- الحكم الشرعي : وهو ما طلبه الشرع من المكلف وما وضعه عنه وما أباحه له والحكم الشرعي يسمي أيضاً الحكم الوضعي

- الحكم العقلي : هو إثبات شيء أو نفيه من طريق العقل .

- الحكم العادي : هو الحكم على الأشياء من خلال الاعتياد وتكرار التجربة ويسمى أيضاً الحكم العرفي

وهكذا فإن ابن عاشر بين لنا في هذا البيت أن الحكم العقلي الذي يجلو الحقائق متوقف على العقل فقط وغير متوقف على الشرع والاعتياد حيث يستطيع العقل الحكم على الشيء دون

وجود الشرع ، مثل حكم العقل أن الكون لابد له من خالق ، وأن الخالق لابد أن يكون عالما قادراً .

*** لماذا قال ابن عاشر (حكمنا) ؟**

لأن من الأحكام المعقولة ما جاء بها الشرع ولا يجزم بها جميع العقلاء ، ومنها أحكام معقولة بالعرف والاعتياد ، لا يجزم جميع العقلاء بها ، وابن عاشر يريد الحكم العقلي الخاص بالعقلاء جميعاً فلا يختلفون عليه لذلك قال (حكمنا)

قال ابن عاشر رحمه الله :

أقسامُ مقتضاهُ بالحصرِ تُمَازْ ** وهي الوجوبُ الاستحالةُ والجوازْ

فواجبٌ لا يقبلُ النفيَ بحالْ **وما أبى الثبوتَ عقلاً المُحالْ

وجائزاً ما قبِلَ الأمرين سِمْ ** للضّروريْ والنظري كلٌ قُسِمْ

الشرح :

- أقسام الحكم العقلي تتميز بأنها محصورة في ثلاثة أقسام فقط هي : الوجوب العقلي والمحال العقلي والجواز العقلي

- **القسم الأول وهو الواجب العقلي** : وهو ما لا يقبل العقل انعدامه فلا يمكن للعقل أن ينفي وجوده مثل وجود اله خلق الكون واتصاف هذا الإله بالقدرة .

والقسم الثاني هو الاستحالة : وهو ما لا يقبل العقل وجوده وثبوته كوصف الإله الخالق بالعجز والاحتياج إلى شريك .

-**والقسم الثالث** ، **الجواز** : وهو ما يقبل العقل بوجوده وبانعدامه

وقوله (سِم) من وسم أي ما يقبل النفي والثبوت قم بوسمه بسمة الجائز .

وقوله (للضروري) فهي تقرأ بتخفيف الواو وتسكين الياء ، وترك تشديدها لمناسبة الوزن هكذا (للضَّرُرِيْ)

ومعنى (للضروري والنظري كل قسم)

أي يقسم الواجب العقلي إلى قسمين (ضروري ونظري)

ويقسم المحال العقلي إلى قسمين (ضروري ونظري)

ويقسم الجائز العقلي إلى قسمين (ضروري ونظري) والأمثلة على هذه الأقسام الستة كما يلي :

1- **الواجب العقلي الضروري** مثل وجود الله ،

٢ - **الواجب العقلي النظري** مثل اتصاف الخالق بالسمع والبصر

٣ - **المحال العقل الضروري** مثل وجود الكون بدون خالق

٤ -**المحال العقلي النظري** مثل وصف الإله بالظلم

5- **الجائز العقلي الضروري** مثل اتصاف الخالق بالصفات الفعلية فيجوز عدم الاتصاف ولا ينقص من كمال الوهيته عدم الفعل ولا يزيد الفعل من كمال ربوبيته

6- **والجائز العقلي النظري** مثل جواز رؤية الله والعفو عن المذنبين

ما هو معنى الحكم الضروري والنظري ؟

والحكم الضروري : هو الذي يدركه العقل ضرورة وبداهة ولا يحتاج لإدراكه إلى نظر وتأمل مثل إدراك الإنسان وجود نفسه .

والحكم النظري : هو الذي يحتاج العقل لإدراكه إلى الاجتهاد والنظر والتأمل والبرهنة والقياس مثل إدراك الإنسان وجود يوم آخر فيه حساب وثواب وعقاب حيث ينظر أن المجرم قد يموت دون أن يتلقى عقابه العادل فيحكم العقل عن طريق التأمل أنه لا بد من يوم يعود فيه الميت حيا ويحاسب عن جرائمه .

قال ابن عاشر رحمه الله :

أولُ واجبٍ على مَنْ كُلِّفا ** مُمَكَّناً من نظرٍ أنْ يعرفا

اللهَ والرسُلَ بالصفاتِ ** ممّا عليها نصَّبَ الآياتِ

وكلُّ تكليفٍ بشرطِ العقلِ ** معَ البلوغِ بدمٍ أوْ حَملِ

أو بمنيٍّ أو بإنباتِ الشَّعَرْ ** أوْ بثمانِ عشْرةٍ حولاً ظهرْ

الشرح :

المكلف وهو العاقل المتمكن من التأمل والنظر العقلي فهو قادر على ترتيب الأمور ومناسبتها وقياسها ليصل إلى معرفة حقائقها ، فهذا المكلف يجب عليه في هذا الدين أول ما يجب أن يتعرف على صفات الله وصفات رسله حسب

الآيات التي نصّبها الله ورسله للعقلاء ومنها الكلام الذي انزله الله للناس ومنها الدلائل التي توزعت في هذا الكون .

ويشترط لتكليف الإنسان أن يكون عاقلا متمكنا من إدراك الأمور والتوصل إلى معرفتها بالنظر والتأمل ، ويشترط أن يكون بالغاً ويعرف البلوغ بخروج دم الطمث للأنثى أو بحمل الجنين إذا لم تكن تحيض ، ويعرف البلوغ بخروج المني للذكر ، أو بنبات شعر العانة ، أو ببلوغ الإنسان ثماني عشرة سنة لأن هذا هل أكثر عمر حدث فيه البلوغ بالاستقراء

قال ابن عاشر رحمه الله :

يجبُ للهِ الوجودُ والقدمْ ** كذا البقاءُ والغنى المطلقُ عَمْ

الشرح :

صفة الوجود :

أول صفة نؤمن بها هي وجود الله ، وهي صفة واجبة لله لأن الإله يجب عقلاً أن يكون موجوداً ويجب عقلاً أن يكون وجوده واجباً فكل من هو قابل للانعدام يستحيل أن يكون إلهاً .

وصفة الوجود يسمها الأشاعرة (الصفة النفسية) وسبب هذه التسمية لأن العقل لا يستطيع التفريق بين نفس الله

سبحانه وتعالى وبين وجوده ويقف عاجزاً أمام ذلك .

ودليل صفة الوجود من القرآن :

قوله تعالى ((إن ربكم لله الذي خلق السموات والأرض))

وقوله تعالى : ((أم خُلِقوا من غير شيء أم **هم** الخالقون))

وأما الدليل العقلي فسوف يمر معنا من خلال أبيات النظم .

صفة القدم :

والقدم : **هو** عدم افتتاح الوجود ، ومعنى القدم سلب الحدوث عن الله لذلك يسميها الأشاعرة صفة سلبية

دليله من   النقل : قوله تعالى : ((هو الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ))

وقوله عليه الصلاة والسلام ((كان الله ولم يكن شيء قبله))

رواه البخاري

دليله من العقل:

إذا لم يكن قديما فسيكون حادثا ولابد أن يكون له محدث وهكذا لن نقف عن التسلسل حتى نصل للخالق الذي خلق الحوادث ، أو سنقول برجحان الشيء بغير مرجح وهذا باطل ، أو سنقول بالدور وهو باطل. والدور هو توقف وجود الشيء على نفسه مثل (لا تخلق أم جحا حتى يكون جحا مخلوقاً).

– بما أن العالم حادث والحادث لا يملك الوجود لنفسه فلا يفيضه على غيره ، فلو لم يكن خالق الحوادث قديما فلن يفيض بالوجود على العالم.

صفة البقاء : والبقاء : هو عدم اختتام الوجود ، أي ليس لوجود ذاته ولا لوجود صفات ذاته اختتام وانتهاء ، البقاء

يسميها الأشاعرة صفة سلبية لأن معناها سلب الفناء عن الموصوف بالبقاء

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ((هو الأول والآخر)) وقوله تعالى : ((كل شيء هالك إلا وجهه))

الدليل العقلي :

لو قبل الفناء لكان حادثا ، وقد أثبت العقل وجوب وجوده ووجوب قدمه ، ومن كان واجب الوجود القديم يستحيل أن يفنى

صفة الاستغناء : وبسميها الأشاعرة صفة قيامه بنفسه ، ومعناها : أن لله تعالى قائم بنفسه فلا يحتاج إلى محل أي لا

يحتاج إلى ذات يقوم بها ولا يحتاج إلى مرجح يرجح وجوده

الدليل من النقل :

قوله تعالى : ((إن لله لغني عن العالمين)) قوله تعالى : ((الله لا اله إلا هو الحي القيوم)) وقوله تعالى : ((الله الصمد)) أي الذي يحتاجه كل شيء وهو غني عن كل شيء وقال تعالى : ((من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)) فهو غني عن جميع الأغراض والمنافع.

الدليل من العقل :

لو احتاج إلى ذات يقوم بها لكان صفة والصفات لا تتصف بالصفات ، ولو كان محتاجا إلى مرجح لكان حادثا ، وهو باطل عقلا بالدليل العقلي على وجوب القدم له تعالى .

*وقوله (عم) أي عمّ الغنى المطلق وهي كلمة أتى بها ابن عاشر لتأكيد معنى الإطلاق وليختم البيت بالقافية المناسبة.

قال ابن عاشر رحمه الله :

وخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بلا مِثالْ ** ووحْدةُ الذاتِ ووصْفٍ والفِعَالْ

الشرح :

(خلفه لخلقه) أي يجب له صفة مخالفة الحوادث ، ومعنى مخالفته الحوادث أي ليس مماثلا لشيء من الحوادث بالحدوث ولوازمه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله التي يتصف بها وقوله (بلا مثال) لأنك قد تثبت له مخالفة المخلوقات مع إثبات صورة له في الذهن غير موجودة في المخلوقات ، لذلك قال : لمخالفة بلا مثال أي بلا كيف ، أي يستحيل أن يكون له صورة ومثال.

الدليل النقلي:

قوله تعالى : ((ليس كمثله شيء وهو السمع البصير))

وقوله تعالى : ((لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد))

الدليل العقلي :

لو ماثل الحوادث لكان حادثا ولو كان حادثا لما كان واجب الوجود ، وقد أثبت العقل انه واجب الوجود وانه قديم باقي فوجب أن يخالف الحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله

صفة الوحدانية :

وهي صفة سلبية واجبة لله ومعناها سلب التعدد والانقسام والتركب عن الله . فيجب الإيمان بان الله واحد أحد في ذاته لا تعدد ولا تجزأ وواحد في صفاته لا أحد له مثل صفته وواحد بأفعاله لا أحد يفعل كفعله ولا يشاركه احد في فعله

- **الدليل النقلي :**

قوله تعالى : ((وإلهكم إله واحد)) وقول تعالى ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)) وقال تعالى : ((وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)) وقال تعالى ((والله خلقكم وما تعملون))

- **الدليل العقلي :**

– لو كانت ذاته متعددة ومتركبة ولو كان له صفتان فأكثر من جنس واحد لكانت ذاته وصفاته مماثلة للحوادث وقد بينا بطلان مماثلة الحوادث عقلا . .

– ولو كان أحد له نظير ذاته أو صفاته أو أفعاله لكان إلهاً فالذي سيغلب ويكون له التفرد بالملك هو الإله ويكون الآخر مغلوبا عاجزاً وليس إلهاً .

- لو كان مع لله شريك يفعل مثل أفعاله لذ هب كل واحد منهما مذهباً في الخلق يختلف عن الآخر ولأدى ذلك إلى فساد الخليقة والنزاع ، والذي يتأمل في الكون ونظامه انسجام أفلاكه يدرك أن الفاعل فيه واحد .

قال ابن عاشر رحمه الله:

وقدرةٌ إرادةٌ علمٌ حياةْ ** سمعٌ كلامٌ بصرٌ ذي واجباتْ

الشرح :

ومن الصفات الواجبات لله سبع صفات يسميها الأشاعرة صفات المعاني وهي (القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام) ووجود هذه الصفات يؤدي إلى وصفه بكونه (قادرا مريداً عالما حيا سميعا بصيرا متكلما) ويسميها الأشاعرة الصفات المعنوية .

ونبدأ بصفة القدرة وكونه قادرا :

القدرة: هي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه والتصرف في الموجودات بتفريق وجمع وتحويل ونحوه على وفق الإرادة.

الدليل السمعي:

قال تعالى : ((إن لله على كل شيء قدير))

وقال تعالى : ((وما كان لله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا))

الدليل العقلي:

قد ثبت بالعقل أن العالم مسبوق بالعدم وانه لا بد أن له صانعاً ، فلا بد أن يكون هذا الصانع قادرا إذا لو كان عاجزا لما صنع هذا العالم .

صفة الإرادة :

الإرادة هي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه على وفق علمه تعالى

الدليل السمعي :

قوله تعالى : ((إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون)) .

الدليل العقلي :

– لو لم يكن مريداً لكان مكرهاً ولو كان مكرهاً لكان مقهوراً ومن كان مقهوراً كان عاجزا لا قدرة له وقد قدمنا الدليل العقلي على اتصافه بالقدرة .

– ولو نظرنا إلى أنفسنا لوجدناها تتمع بإرادة محدودة فكيف يمنحنا هذه الإرادة ويكون هو محروما من الإرادة

صفة العلم :

العلم **:** هو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات على وجه الإحاطة دون أن يسبق خفاء

الدليل السمعي:

قوله تعالى : ((إن لله بكل شيء عليم))

وقوله تعالى : ((ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء))

الدليل العقلي:

إذا نظرنا في الأنفس والآفاق شاهدنا دقة المصنوعات وعجيب نمط نظامها المحكم وما فيها من الحكم والمنافع التي تعجز العقول على إدراك جميع أسرارها ، لذلك فان العقل يحكم ضرورة أن صانع هذا الكون متصف بالعلم والحكمة.

صفة الحياة: وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الكمال

الدليل السمعي:

قوله تعالى : ((**هو** الحي لا إله إلا **هو**))

الدليل العقلي:

لو لم يكن موصوفا بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة وغير**ها** من صفات الكمال وقد بينا سابقا الدليل العقلي على اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم .

اتصافه بالسمع والبصر وأنه سميع بصير :

السمع :

صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بكل موجود ما هو به على وجه الإحاطة تعلقاً يغاير تعلق العلم والبصر

البصر : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بكل موجود ما **هو** به على وجه الإحاطة تعلقا يغاير تعلق العلم والسمع

دليل النقل:

قال تعالى : ((و**هو** السميع البصير)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سمعيا بصيرا)) البخاري

الدليل العقلي:

إن كل حي لا بد أن يكون قابلا للاتصاف بالسمع وضده فلا بد للحي أن يتصف بواحدة إما السمع وأما الصمم ، وقد دلت الأدلة العقلية على كمال قدرة لله ونفوذ إرادته وإحاطة علمه فاقتضى عقلاً اتصافه بكمال السمع .

وإن من ثبت اتصافه بالحياة والقدرة الكاملة والعلم والسمع المحيطان بالموجودات فلابد أن يكون له بصر محيط .

اتصافه بالكلام وأنه متكلم .

صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق دلالة

هل كلام لله مخلوق ؟

ج – لأن كلام لله صفة وجودية قديمة قائمة بذاته القديمة فهو غير مخلوق والقرآن كلام لله غير مخلوق ، ويسمون كلام لله الذي هو صفته القديمة (الكلام النفسي)

هل كلام لله صوت وحرف ؟

ج – لأن لله سبحانه مخالف للحوادث في ذاته صفاته وأفعاله فليس كلامه بحرف ولا صوت ولا يطرأ عليه سكوت ولا آفة ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ولا غير ذلك من صفات الحوادث.

لكن يجوز في حق الله أن يخلق صوتاً يسمعه الإنسان وهذا الصوت يترجم دلالات كلام لله ومراده ، وينسب هذا الصوت لهر لأنه يدل على مراد لله.

هل ما سمعه موسى في كلامه الذي أم صوتا مترجماً لدلالة كلامه الذاتي ؟

سمع موسى كلام الله الذاتي وسمع صوتاً مترجماً لكلامه النفسي

الدليل السمعي:

قوله تعالى : ((وكلم لله موسى تكليما))

الدليل العقلي:

الذي أثبت العقل له الحياة والقدرة الكاملة والعلم المحيط ولا بد أن يكون كليما ، فإن لم يكن كليما كان أبكم والبكم صفة نقص لا تليق بمن أثبت له العقل صفة القدرة والعلم والحياة.

والذي أثبت العقل انه خالق المخلوقات المتكلمة باللسان والدلالة يستحيل أن يكون خالق المتكلمين لا يتصف بالكلام

ما معنى تعلق الصفة ، وما هي تعلقات الصفات ؟

تعلق الصفة : هو علاقة الصفة بالواجب والمستحيل والممكن من حيث التأثير والتخصيص والإحاطة والانكشاف والدلالة.

ما هي التعلقات ؟

-صفة القدرة تتعلق بالممكن على جهة التأثير

-صفة الارادة تتعلق بالممكن على جهة التخصيص

-صفة العلم تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات على وجه الإحاطة والانكشاف.

-صفة الكلام تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات على وجه الدلالة.

-صفة السمع البصر تتعلقان بالموجودات الواجبات والجائزات على وجه الانكشاف

-أما صفة الحياة فهي لا تتعلق بشيء ولا تطلب أمراً زائدا على قيامها بذات لله

قال ابن عاشر رحمه الله :

ويستحيلُ ضدُّ هذهِ الصِّفاتْ ** العدَمُ والحدوثُ ذا للحادثاتْ

كذا الفنا والافتقارُ عُدَّه ** وأنْ يُمَاثَلَ ونفيُ الوَحدَهْ

عجزٌ كراهةٌ وجهلٌ ومماتْ ** وصَمَمٌ وبَكْمٌ عَمىً صُمَاتْ

الشرح :

بعد أن ذكر ابن عاشر ما يجب في حق الله من الصفات ، أخذ يذكر في هذه الأبيات ما يستحيل عليه من الصفات :

فيستحيل عليه العدم والحدوث لأنه واجب الوجود الأول القديم لا بداية له ، ويستحيل عليه الفناء لأنه الباقي لا يفني ولا يزول ويستحيل عليه الاحتياج والافتقار لشيء لأنه الغني القائم بذاته ويستحيل عليه مماثلة المخلوقات لأن مماثل المخلوقات يخضع للعجز والتغير والحدوث والانعدام والجهل والموت والفناء .

ويستحيل عليه التعدد والتجزؤ لأنه واحد أحد لا يماثل المخلوق والمخلوق يتعدد ويتجزأ

ولأنه قادر فيستحيل عليه صفة العجز ، ولأنه يفعل ما يريد فيستحيل عليه الكراهة فلا شيء يكرهه على فعل ولا شيء يمنعه عن فعل ما يريد .

ولأنه عليم محيط أزلي فيستحيل عليه سابقة جهل ولا يطرأ عليه جهل .

ولأنه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فيستحيل عليه الموت والنوم والغفلة

ولأنه سميع بصير متكلم فيستحيل عليه الصمم والعمى البكم ، ولأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقات فيستحيل على كلامه النفسي صفات المخلوقات في كلامهم كالتقطع والصمت والصوت والآفات .

قال ابن عاشر رحمه الله :

يجوزُ في حقّهِ فعلُ الممكناتْ ** بأسرها وتركُها في العَدَمَاتْ

الشرح :

بعدما ذكر ابن عاشر ما يجب لله من الصفات وما يستحيل ، أتى على ذكر ما يجوز في حقه من الصفات بشكل مجمل وهي الصفات الفعلية وهي فعل كل ممكن وتركه

فما معنى اتصافه بصفات جائزة ؟

هي كل صفة إذا لم يتصف بها لم ينقص من ربوبيته وإذا اتصف بفعلها لا يزيد في ألوهيته فهو إله كامل . سواء فعلها أو ترك فعلها ومن هذه الصفات الجائزة (الصفات الفعلية) وهي الصفات المتعلقة بالقدرة والإرادة مثل الاستواء و التخليق والرزق والرحمة والمعاقبة والإحياء والإماتة والتوفية والرفع والخفض والإذلال والإعزاز و...

فيجوز في حق لله التخليق والرزق ويجوز أن لا يفعلها أولا يفعلها ويجوز أن يخرج الشيء من العدم ويجوز أن يتركه معدوما .

قال ابن عاشر رحمه الله :

وجودُهُ لهُ دليلٌ قاطعْ ** حاجةُ كلِّ مُحْدَثٍ للصّانعْ

الشرح :

بدأ ابن عاشر ببيان الأدلة العقيلة على وجود الله وصفاته ، وبدأ بأوجبها وهي دليل وجوده جلال جلاله

وبدأ بأقوى دليل عقلي وأقطع حجة معقولة لدى الجميع لأنه حجة ضرورية بدهية في العقل ، وهي احتياج كل شيء مخلوق موجود إلى من خلقه وأوجده ، واحتياج كل شيء مصنوع إلى وجود من صنعه

قال ابن عاشر رحمه الله :

ولوْ حدثتْ لنفسها الأكوانُ **لاجتمعَ التساوِي والرُّجحانُ

وذا محالٌ وحدوثُ العالَمِ ** من حَدَثِ الأعراضِ مع تلازُمِ

الشرح :

يذكر ابن عاشر دليلاً عقلياً آخر يبرهن وجوب وجود الله وهذا الدليل هو دليل نظري يدركه العاقل بشيء من التفكر والتأمل وهذا البرهان هو استحالة اجتماع العدم والوجود في وقت واحد.

فلو قلنا : إن الأكوان حدثت بنفسها دون محدث أحدثها لاجتمع فيها العدم والوجود في وقت واحد وهذا يؤدي إلى أن العدم ورجحان الوجود متساويان ، وهذا لا يقره العقل بل يحكم باستحالته . لذلك قال ابن عاشر (وذا محال) أي هذا مستحيل في حكم العقول السليمة .

وقوله : (مع تلازم) أي مع ملازمة أعراض الحدوث للعالم فالعالَم يلازمه الأعراض كالحركة و السكون والوجود والعدم

والتحول والتغيير فملازمة العالَمَ لهذه الأعراض الحادثة هو دليل عقلي على أن العالم حادث ، وأن كل حادث يحتاج إلى من أحدثه ، لذلك ليس وجود الكون من نفسه .

ملاحظة :

يقرأ البيت (التساوي والرجحان) بتخفيف ياء التساوي لاستقامة الوزن .

قال ابن عاشر رحمه الله :

لو لم يكُ القِدَمُ وصفَهُ لزِمْ ** حدوثُهُ ، دورٌ تسلسلٌ حُتِمْ

الشرح :

بعد أن بين ابن عاشر الدليل العقلي على أنه لابد من وجود محدث لهذا الكون واجب الوجود ، أخذ في تبيين أن هذا الخالق الصانع لابد أن يكون قديماً لا أول له ، واستدل على ذلك بدليل عقلي نظري هو دلالة اللزوم وهي   أنه إذا فرضنا أنه غير قديم فسيكون حادثاً ، وإذا كان حادثاً حكم العقل

بالبداهة والضرورة أنه لا بد أن يكون له محدث ، فإن لم نقر بوجود محدِثٍ لهذا الكون متصف بالقدم فإننا سنقع في (الدور والتسلسل) وهما مستحيلان في حكم العقل .

الدور : هو توقف وجود الشيء على ذاته ، مثل : لا يوجد جحا إلا إذا وجدت أم جحا ، ولا توجد أم جحا حتى يوجد جحا .. وهكذا وقف وجود جحا على ذاته ، وهذا هو الدور وكل عقل يحكم ببطلانه .

التسلسل : وهو تسلسل الأسباب والمسببات إلى مالا نهاية ، مثل أن يقول هذا الإنسان من خلقه ، فيقال ربه ، فيقول ومن خلق ربه ، فما يزال يقول : من خلق ، من خلق إلى ما لا نهاية فهذا باطل ، لأن العقل سيقف عند السبب الأول الذي خلق وليس هو مخلوق .

ملاحظة :

(حدوثه) مرفوع وهو فعل الفعل لزم

(دور) نائب فاعل الفعل حُتم

قال ابن عاشر رحمه الله :

ولو أمكنَ الفناءُ لانتفى القِدَمْ ** ولوْ ماثلَ الخلقَ حدوثُهُ انحتمْ

الشرح :

بعد أن بين ابن عاشر الدليل العقلي على وجود الله واتصافه بالقدم أخذ في بيان الدليل العقلي على اتصافه بالبقاء ومخالفة الحوادث **وذلك بهذا البرهان** :

لو قلنا إنه يفنى لبطل وصفه بالقدم لأنه لو جاز أن يجري عليه الفناء لجاز أن يكون معدوماً في وقت من الأوقات ولبطل اتصافه بالقدم وقد بينّ ا سابقاً البرهان العقلي على وجوب اتصافه سبحانه وتعالى بالقدم .

ولو كان يفنى لكان غير قديم ولصار حادثاً ، ولو صار حادثاً لماثل المخلوق ، فلما تبرهن أنه قديم وأنه لا يفنى لزم أن يخالف الحوادث فلا يماثلها في شؤونها .

قال ابن عاشر رحمه الله :

لوْ لمْ يكُنْ لهُ وصفُ الغنى افتقرْ ** لو لمْ يكُنْ بواحدٍ لما قَدَرْ

لوْ لمْ يكُنْ حياً مريداً عالماً ** قادراً لَمَا رأيتَ عالَماً

الشرح :

يشير هنا إلى **برهان اتصاف الله بقيامه بنفسه** وغناه عن محل يقوم فيه وغناه عن أدوات لا يستطيع أن يخلق دون استعمالها وغناه في حياته عن الاحتياج إلى مدد .

فإذا لم يكن غنياً عن العالمين لكان مفتقراً وإذا كان مفتقراً كانا عاجزاً وإذا كان عاجزاً لم يكن قادراً على إيجاد العالم .

ويشير ابن عاشر أيضا إلى **برهان اتصاف الله بالوحدانية** ، وهو أنه واحد لا يشاركه أحد في أفعاله وملكه ، وليس لأحد صفات كصفاته وليس هو مركب من أجزاء وليس هو جزء ، وهذا البرهان هو أنه إذا لم يكن واحداً لكان عاجزاً ومفتقراً إلى شريك ، ولو كان ينقسم ويتعدد لكان مماثلا للحوادث ، وقد بيّنّ فيما سبق برهان بطلان مماثلة الحوادث .

ثم يشير إلى البرهان العقلي لاتصافه بالحياة والقدرة والإرادة والعلم وهو برهان مشاهدتنا لهذا الكون وما فيه من نظام حكيم ، إذ لا يعقل أن يكون خالقه غير متصف بهذه الكمالات . فإذا لم يكن حياً ومريداً قادرا وعالماً لم يقدر على خلق العالم الذي نشاهده .

قال ابن عاشر رحمه الله :

والتالي في الستَّ القضايا باطلُ ** قطعاً مقدَّمٌ إذاً مُمَاثِلُ

الشرح :

القضية تتكون من مقدمات وتالي (أي نتيجة) فإذا كانت المقدمات باطلة قطعاً فإن التالي يكون مماثلاً لها في البطلان فيكون التالي باطلاً .

وابن عاشر عرض في الأدلة العقلية ست قضايا كل منها كان المقدّم فيها باطلاً فعلينا أن نحكم أن التالي باطل .

مثل قوله :

ولو أمكنَ الفناءُ لانتفى القِدَمْ ** ولوْ ماثلَ الخلقَ حدوثُهُ انحتمْ

فالمقدمة الباطلة هي : الفناء ممكن عليه

فتلاها النتيجة : إنه غير موصوف بالقدم وهذا التالي هو باطل مثل المقدمة .

قال ابن عاشر رحمه الله :

والسَّمْعُ والبَصرُ والكلامُ ** بالنقلِ مَعْ كمالِهِ تُرَامُ

الشرح :

شرحنا فيما سبق ما هي صفة السمع والبصر والكلام وبينا أدلتها من القرآن والسنة وبعض البراهين العقلية التي تؤيد اتصافه بهذه الصفات .

وفي هذا البيت يبين ابن عاشر أن صفة السمع والبصر والكلام وجبت لله من طريق النقل أي من القرآن وكلام النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يثبت وجوب اتصافه بهذه الصفات

من طريق العقل ، وإنما العقل وافق النقل بقبول اتصافه بهذه الصفات .

قال ابن عاشر رحمه الله :

لوِ استحالَ ممكنٌ أوْ وجبا ** قلبُ الحقائقِ لزوماً أوْجبا

الشرح :

يبين في هذا البيت أن المستحيل إذا صار ممكنا فإن حقيقته تنقلب فلا يكون مستحيلاً

وأن الممكن إذا صار واجباً انقلبت حقيقته فلا يسمى ممكنا

وأن الممكن لو صار مستحيلاً انقلبت حقيقته ولم يعد ممكنا

لذلك فإنّ الممكن ممكن لا يصير مستحيلا ولا واجبا

وإن الواجب واجب لا يكون ممكناً ولا مستحيلاً

وإن المستحيل مستحيل فلا يكون ممكناً ولا واجباً

قال ابن عاشر رحمه الله :

ويجبُ للرُسْلِ الكرامِ الصدقُ ** أمانةٌ تبليغُهُمْ يَحِقُّ

الشرح :

الرسول : هو إنسان ذكر حر بعثه لله سبحانه وتعالى إلى عبيده ليبلغهم أحكامه التكليفية والوضعية . وهذه الأحكام تسمى الرسالة وهي أحكام فيها لطف ورحمة وحكمة وتحقيق لمصالح العبيد وعزهم وسعادتهم.

ما هو تعريف النبي وما الفرق بينه وبين الرسول ؟

هو من أوحي إليه بشرع يعمل به سواء كلف بتبليغه أم لم يؤمر بالتبليغ ، والنبوة وهب من hالله ولا تكتسب بالرياضيات والمجاهدات وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، فالفرق بينهما أن الرسول مأمور بالتبليغ أما النبي لم يؤمر بالتبليغ

وقوله (الكرام) يشير بذلك إلى أن الله يبعث الأنبياء من كرام الناس لا من ذوي الوضاعة فيكون الرسل شر فاء النسب من كرام أقوامهم ذكوراً قادرين على تحمل أعباء الدعوة ،

وحكمة كونهم من الذكور لأن الرسول مطالب بالاجتماع بشتى طبقات الناس ومختلف أصناف الرجال ومطالب بالسفر والجهاد المرأة لا يناسبها هذا المطلب .

قال ابن عاشر رحمه الله :

ويجبُ للرُسْلِ الكرامِ الصدقُ ** أمانةٌ تبليغُهُمْ يَحِقُّ

محالٌ الكذبُ والمنهيُّ ** كعَدَمِ التبليغِ يا ذكيُّ

الشرح :

تكلمنا عن معنى الرسل الكرام وهنا نبين الصفات التي يجب توافرها في الرسل وهي ، الصدق والأمانة والتبليغ :

فالصدق والأمانة قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) وقال تعالى على لسان رسله : ((إني لكم رسول أمين)) وقال تعالى : ((والله لا يحب الخائنين)) وأجمعت الأمة على صدق الرسل وأمانتهم و قال تعالى

واصفا أنبياءه) : ((الذين يبلغون رسالات لله ويخشونه ولا يخشون أحد اً إلا لله وكفى بالله حسيبا))

وينطوي في التبليغ صفة واجبة هي الفطانة لأن المبلغ عن ربه مطالب بإقامة الحجة على المنكرين وهذا يتطلب الفطنة حتى يقوم بتلك المهمة على أكمل وجه قال تعالى : ((وجاد لهم بالتي هي أحسن))

ويستحيل عليهم ضد ذلك وهو الكذب والخيانة وفعل المنهيات ومن المنهيات ترك تبليغ ما أمروا بتبليغه

قال ابن عاشر رحمه الله :

يجوزُ في حققِهِمْ كلُّ عَرَضْ ** ليسَ مؤدِّياً لنقصٍ كالمَرَضْ

الشرح :

ويجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تنافي علو رتبتهم كالمرض والجوع والفقر والأكل والشرب ونوم العيون دون القلب والخوف والحزن والنسيان والنكاح وموت الأولاد ووقوع السحر على الرسل وهو نوع من المرض دون أن يصيب عقولهم وكل عرض لا يحط من كرامتهم يصيبهم ، وكل مرض لا ينفر الناس منه فهو يصيبهم فلا يصاب بالجزام ولا بالبرص ولا بالشلل ولا بالعور والعمى ولا بنقص الأعضاء لا بدمامة الوجه ولا بقبح الصوت ، لأنها عوارض تحط من كرامته وتنفر الناس منه .

والقاعدة كل عرض فيه امتهان للنبي ونقص فلا يصيبه . لذلك فإن ما ينسب إلى سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام من أن الدود كان يأكل جسده وأنه أصيب بأمراض منفرة

ومعدية فهذا غير صحيح وهي إشاعات أشاعها عليه الشيطان وصدقها قوم أيوب ، لذلك طردوه خشية العدوى ، ولازمته زوجته ، فلو كان مرضه معدياً ومنفراً ما التزمت زوجته بخدمته وهي تغدو وتروح على قومها وما بها من بأس غير مظهر الإرهاق والتعب من أذى الناس لها ولزوجها .

قال ابن عاشر رحمه الله :

لوْ لمْ يكونوا صادقينَ لَلَزِمْ ** أنْ يكْذبِ الإلهُ في تصديقهِمْ

إذْ معجزاتُهم كقولِهِ : وَبَرّْ ** صدقَ هذا العبدُ في كلِّ خبرْ

الشرح :

يبين ابن عاشر البرهان العقلي على اتصاف الأنبياء بالصدق وهو الأنبياء إن لم يكونوا صادقين كانوا كاذبين ، وإذا كانوا كاذبين فقد لزم أن يكون الإله كاذباً لأنه قام لهم بمعجزات وخوارق تؤيد ادعائهم وتظهرهم أمام الخلق بمظهر الصدق

فالمعجزات التي وقعت لهم بمثابة قول الله : برّ عبدي وصدق فيما يقول لكم .

قال ابن عاشر رحمه الله :

لو انتفى التبليغُ أو خانوا حُتِمْ ** أنْ يُقلَبَ المنهيُّ طاعةً لهُمْ

جوازُ الاعراضِ عليهمْ حجّتُهْ ** وقوعُها بهِمْ ، تَسَلٍّ حكمتُه

الشرح :

يبين ابن عاشر البرهان العقلي على وجوب اتصافهم بالأمانة والتبليغ ، وهو أنه لو خانوا بفعل محرم أو تركوا تبليغ شيء فقد تحتم علينا طاعتهم ووجب علينا فعل المنهيات لأن الله أمر بطاعتهم ، وللزم من ذلك تعارض الأوامر الإلهية .

وأما الدليل العقلي على جواز وقوع الأعراض على الأنبياء هو وقوعها عليهم فكانوا يجوعون ويعطشون ويتغوطون وينامون ويمرضون ويفرحون ويحزنون و...

وقوله (تسلٍّ حكمته) تسل هي خبر للمبدأ المؤخر حكمته ، أي حكمته في وقوع الأعراض عليهم تسلٍّ للعباد عما يصيبهم في الدنيا من آفات ومكروهات .

ملاحظة :

تقرأ (جواز الاعراض) بتسهيل الهمزة لسلامة الوزن

قال ابن عاشر رحمه الله :

وقولُ لا اله إلاّ اللهُ ** محمدٌ أرسلهُ الإلهُ

يجمعُ كلَّ هذه المعاني ** كانت لذا علامةَ الإيمانِ

وهي أفضلُ وجوهِ الذكرِ ** فاشتغلْ بها العمرَ تفُزْ بالذُّخرِ

الشرح

يبين ابن عاشر رحمه الله حقيقة الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الهه) أنه ا جامعة لجميع المعاني التي ذكرناها سابقاً مما يجب اعتقاده ، قال الله تعالى : ((فاعلم أنه لا إله إلا الله)) فأشار إلى أن العلوم النبوة كلها تندرج في معرفة الله

، و لذلك كانت علامة يستدل بها على إيمان صاحبها فمن نطق بها اعتبرناه مسلماً ، ثم ذكرّنا ابن عاشر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) رواه الإمام مالك في الموطأ ويذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم :((أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله)) حسنه الترمذي وصححه ابن حبان ، وهي ذخر للعبد يوم القيامة ، لأنها ثقيلة في الميزان فعن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب: كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)) رواه النسائي وصححه الحاكم وابن حبان

ومن كانت له الشهادتان ذخراً عند الله أدركه الفوز والفلاح ، كما جاء في خبر البطاقة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم ، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء)) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم وابن حبان

قال ابن عاشر رحمه الله :

فصلٌ وطاعةُ الجوارِحِ الجميعْ ** قولاً وفعلاً هو الاسلامُ الرفيعْ

قواعدُ الإسلامِ خمسٌ واجباتْ ** وهي الشهادتان شرطُ الباقياتْ

ثمّ الصلاةُ والزكاةُ في القطاعْ ** والصومُ والحجُّ على من استطاعْ

الشرح :

يبدأ ابن عاشر في فصل جديد ببيان الدين الواجب المكلفين التدين به ، ويبدأ بأول قسم من الدين وهو الإسلام فبين لنا معنى الإسلام أنه طاعة جميع الجوارح قولا وعملاً والمقصود بطاعة الجوارح هو استسلام السمع والبصر واللسان واليد والرجل والبطن والفرج وانقيادها لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم أخذ يبين قواعد الإسلام ، والمقصود بالقواعد هي أركان البناء وأساساته وهي السقف والأعمدة وذكر أن هذه القواعد خمس مفروضة على المؤمنين بالله ، وأولها الشهادتان ، وهي شرط أساسي عليها تقوم بقية القواعد

فلا تصح الصلاة والصيام والزكاة والحج ممن لا يشهد الشهادتين . وثانيها الصلاة وثالثها الزكاة في القطاع يعني الزكاة فيما يقطع ويصرم ويذبح كالزرع والذهب والفضة والثوب والأنعام ورابعها الصوم وخامسها الحج الذي لا يجب إلا على من ملك الزاد والراحلة ونفقة الأمن وكان خاليا من الأمراض المانع من القدرة على السفر ، وهذه الأركان سوف يتوسع ببيان أحكامها فيما يلي من القسم الثاني من نظمه وهو الفقه على مذهب مالك رضي الله عنه .

ملاحظة :

الجميع –الرفيع– القطاع – استطاع : بسكون الآخر

الاسلام تقرأ بتسهيل الهمزة لضرورة الوزن

وصف الإسلام بالرفع لأنه أكثر الشرائع رفعة ولأن المسلمين أرفع الناس ، ولأن الرسول الخاتم الذي شرع شرائع الإسلام وبينها هو أرفع الخلائق صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم مثّل الإسلام بالبيت المرفوع الكامل وأن محمداً

صلى الله عليه وسلم هو اللبنة التي أكملت بناء الإسلام كما قال عليه الصلاة والسلام ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)) رواه البخاري ومسلم

قال ابن عاشر رحمه الله :

الايمان جزمٌ بالإلهِ والكتبْ ** والرسْلِ والأملاكِ معْ بَعثٍ قَرُبْ

وقدَرٍ كذا صراطٌ ميزانْ ** حوضُ النبيِّ جنةٌ ونيرانْ

الشرح :

يبين ابن عاشر القسم الثاني من الدين وهو الإيمان ، وعرفه لنا بأنه التصديق الجازم بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحوض وحساب وصراط وميزان وجنة ونار والإيمان بالقدر خيره وشره .

فائدة :

في قوله بعث قرب : إشارة للموت والبرزخ وعذاب ونعيم القبر والحشر ، وفي ذكره الميزان إشارة للحساب ، وفي ذكره حوض النبي صلى الله عليه وسلم إشارة لمقام الشفاعة ..

ولعل ابن عاشر أراد الاختصار في هذا المقام لأن هذه العقائد مشهورة عند كل من قرأ كتاب الله . وسأذكر في نهاية هذا الكتاب ملخصاً عن هذه العقائد التي اختصرها الشيخ رحمه .

قال ابن عاشر رحمه الله :

وأما الاحسان فقال من دراه ** أن تعبد الله كأنك تراه

إن لم تكن تراه إنه يراك ** والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك

الشرح :

وهنا يذكر ابن عاشر رحمه الله القسم الثالث من الدين ، وهو الإحسان ، أي الوصول في أداء العبادة إلى رتبة الإحسان وهي رتبة الكمال المشتمل على النية والإخلاص

وأداء العبادة بكامل شروطها وأركانها وسننها وآدابها وتحقيق الخشوع فيها والعبادة الكاملة على ثلاث مراتب :

1- رتبة مشاهدة الله أثناء العبادة على الدوام وهي رتبة النبي صلى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى التفاوت هي رتبة الأنبياء

2- رتبة الحضور كأنك تراه فلا يغيب على المتعبد مراقبة الله له وهذه على الدوام رتبة أولياء الله

3- رتبة فإنه يراك وهي رتبة المؤمنين الذين يعالجون الغفلة بنور ذكرى ان الله مطلع عليهم ومقبل إليهم فيأخذهم الحياء إلى ساحات الحضرة ، فمن دام له هذا المقام صار من أهل الولاية يعبدون الله كأنهم يرونه

ملاحظة : الإحسان تقرأ بتسهيل الهمزة للوزن

وقوله (الدين ذي الثلاث) أي الدين هذه الأمور الثلاثة وهي الإسلام والإيمان والإحسان (فخذ أقوى عراك) عراك جمع عروة أي استمسك ب الإحسان في الإسلام والإيمان ، وهو

أقوى عرى الدين وهو العروة الوثقى التي قال الهو عنها :
((مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))
اللهم أحيانا على الإسلام وحققنا في مقامات الإحسان وتوفنا على الإيمان يا رحيم يا رحمن .

ملحق في شرح ما اختصره ابن عاشر من عقائد الإيمان بالغيب :

١ – الإيمان بالساعة أشراطها :

الإيمان بالساعة واجب قال الله تعالى : ((بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا))
يجب الإيمان بأن علم وقت الساعة مختص بالله لا يعلمه أحد ، والإيمان بأنها تأتي بغتة ، قال الله تعالى : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً

يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))

يجب الإيمان بأن بين يدي الساعة أشراط تدل على اقتراب موعدها ، قال الله تعالى : ((فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ))

الإيمان بطائفة من أشراطها : قال الله تعالى : ((اقتربت الساعة وانشق القمر)) وقال عليه الصلاة والسلام ، بعثت والساعة كهاتين)) وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري ومسلم ، وفي حديث جبريل قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)) رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله)) رواه البخاري ومسلم .

وقد ورد أحاديث كثيرة في بيان علامات الساعة وللتوسع يقرأ الطالب كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي .

٢ – الإيمان بعذاب القبر ونعيمه :

نؤمن بامتحان القبر وعذابه ونعيمه ، قال عليه الصلاة والسلام : ((العبد إذا وضع في قبره ، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فأقعداه ، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا، وأما الكافر – أو المنافق – فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)) رواه البخاري ومسلم وفي الحديث إثبات لامتحان الميت وعذابه ونعيمه .

وقال تعالى في حق قوم فرعون : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) وقوله تعالى : ((ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون))
فقد ابدأ موت الظالمين بضرب ملائكة العذاب لهم وتبشيرهم بعذاب الهون .

وقول النبي عليه الصلاة والسلام : ((عذاب القبر حق))
رواه البخاري وانه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : ((إنهما ليعذبان وما يعذبان بكبير)) رواهما البخاري ومسلم .
وقوله تعالى : ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله))
وقال عليه الصلاة والسلام : ((ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا ، وينور له فيه ، فيقال له: نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)) رواه الترمذي وقال عليه الصلاة

والسلام : ((ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ، ومالي)) رواه احمد

٣ - الإيمان بالصور ونفخاته :

نؤمن بالصور ونفخ فيه ، والصور قرن ينفخ فيه الملك وإسرافيل عليه السلام روى الترمذي أن رجلا قال : الصور يا رسول الله فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((قرن ينفخ فيه)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن ، القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ)) قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله ؟ قال: ((قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا)) وأجمع العلماء أن صاحب القرن هو إسرافيل

وينفخ فيه ثلاث نفخات :

نفخة الفزع قال تعالى : ((ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله))

نفخة الصعق والإماتة : ((ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون))

نفخة الإحياء : ((ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون)) والمدة بين نفخة الصعق والإحياء أربعون ، قال عليه الصلاة والسلام : ((مابين النفختين أربعون)) متفق عليه

٤ – الإيمان بالحشر وكرباته :

الإيمان بالحشر : نؤمن بإحياء الموتى وحشرهم إلى أرض المحشر ، قال تعالى : ((والله أنبتكم من الأرض إنباتا)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)) رواه البخاري ومسلم

وقال تعالى : ((وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد)) رواه البخاري ومسلم ، كقرصة النقي : كقرص الخبز الجيد ليس في نخالة .

وأن الحيوان والطير والزمان والمكان والإنس والجن كلهم يحشرون ، قال الله تعالى ((ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس)) وقال تعالى : ((يومئذ تحث أخبارها)) قال تعالى : ((وإذا الوحوش حشرت)) وقال تعالى : ((وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((تحشر الأيام على هيئتها)) رواه الطبراني .

كربات المحشر :   نؤمن إن في المحشر كربات منها أنهم يحشرون حفاة عراة ويفرون من بعضهم وتدنو الشمس من الرؤوس ويغرق أهل المحشر في العرق وتبرز لهم الجحيم ، قال عليه الصلاة والسلام : ((يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً)) رواه البخاري ومسلم ، ومعنى غرلاً : أي تحشر معه الأجزاء المنفصلة لتعلق الحساب بها فالجلد الذي أطاع وعصى به يحشر معه ويشهد له أو عليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما)) رواه مسلم

وقال الله تعالى : ((يوم يفر المرء من أخيه *وأمه وأبيه *وصاحبته وبنيه *لكل امرئ منهم شأن يغنيه)) وقال : ((وبرزت الجحيم لمن يرى))

٥ – الإيمان بالحوض والكوثر :

نؤمن بالكوثر والحوض ، قال تعالى : ((إنا أعطيناك الكوثر)) وقال عليه الصلاة والسلام قال : ((أتدرون ما الكوثر؟)) فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)) رواه مسلم .

وفي صفة الحوض روى مسلم عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض قال: ((والذي نفس محمد بيده

لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنيةُ الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ، ما بين عمان إلى أيلة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل))

٦ – الإيمان بالشفاعات :

ونؤمن بالشفاعات والشافعين وأول الشافعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم الأنبياء ثم الشهداء والصالحون ثم الملائكة ، قال تعالى : ((من ذا الذي يشفع إلا بإذنه))

وقال عليه الصلاة والسلام : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)) رواه مسلم ، ويشفع النبي عليه الصلاة والسلام الشفاعة الأولى

بتفضل الله للحساب وإراحة أهل المحشر وهي المقام المحمود والشفاعة العظمى العامة ، ثم يشفع الشفاعة الثانية بإدخال أقوام الجنة بغير حساب ، ثم يشفع الشفاعة الثالثة لقوم استحقوا دخول النار فلا يدخلوها ثم يشفع الشفاعة الرابعة بإخراج أهل الكبائر من المسلمين من النار ، ويشفع شفاعة خامسة لتخفيف العذاب عن بعض أهل النار ويشفع الشفاعة السادسة لإخراج من قال لا إله إلا الله فيمنع منها ويخصها الله لنفسه ... وهذه الشفاعة وردات في أحاديث الشفاعة .

الشفاعة الإلهية : وهي التي كما قال عليه الصلاة والسلام : ((فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا،

فيلقون في نهر بأفواه الجنة، يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل)) رواه البخاري

امتحشوا : يعني احترقوا واسودّوا

٧ - **الإيمان بالحساب** :

ونؤمن بالحساب قال الله تعالى : ((إنا إلينا إيابهم ، ثم إنا علينا حسابهم)) وقال تعالى : ((عن الله سريع الحساب)) والحساب يكون لجميع الخلق حتى البهائم ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء)) رواه مسلم

والحساب أنواع : حساب يسير وحساب عسير وحساب جهري وحساب سري وحساب العدل وحساب الفضل والعطاء ، قال تعالى : ((فإما من أوتى كتابه بيمينه *

فسوف يحاسب حسابا يسيرا)) وقال عليه الصلاة والسلام :
((من نوقش الحساب يهلك))رواه البخاري ، وقال عليه
الصلاة والسلام : ((إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه
ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول:
نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك،
قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى
كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:
{هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين}))
رواه مسلم ، فقد حسابه حسابا سريا وعامله بالفضل والعطاء
كما قال الله ((جزاء من ربك عطاء حساباً))

وقال تعالى : ((وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون)) فهذا حسابهم بالعدل

ملاحظة : ربنا يحاسب الكفار بالعدل أما المؤمنين يحسبهم بالفضل ويكرمهم ويعفوا عنهم كثيرا .

٨ - الإيمان بالصحائف :

ونؤمن بالصحائف هي الكتب التي كتبتها الملائكة لأعمالهم ، فيأخذها المؤمنون باليمين ويسمون أهل اليمين ويأخذها الكفار بالشمال ويسمونهم أهل الشمال ، قال تعالى : ((فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية)) وقال تعالى : ((وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه)) ويعطى أهل الشمال كتبهم من وراء ظهرهم بشمالهم .و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)) رواه احمد

ويرى علماء الأشاعرة أن الأنبياء لا يأخذون كتاباً لأنهم معصومون .

مصير أهل الكبائر من المسلمين :

ونؤمن أنه من شهد شهادة الإسلام وفعل الكبائر ومات ولم يتب فهذا أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه قال الله تعالى : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)) وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال الله : ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن)) رواه مسلم .

٩ – الإيمان بالوزن والميزان :

ونؤمن بالوزن والميزان ، قال الله تعالى : ((والوزن يومئذ الحق)) وقال تعالى : ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)) وقال تعالى : ((فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم))

قال الأشاعرة : الميزان حسي له لسان وكفتان اليمين كفة الحسنات وهي نيرة واليسار كفة السيئات وهي مظلمة والموزون

هو الصحائف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال: إنك لا تظلم ، قال: ((فتوضع السجلات في كفة)) ، قال: ((فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة)) رواه أحمد .

١٠ –الإيمان بالصراط :

ونؤمن بالصراط والمرور عليه ، وهو جسر مضروب على متن جهنم ، قال تعالى : ((وإن منكن إلا واردها كان على ربك

حتماً مقضياً * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)) وقال الله تعالى : ((لو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم ، سلم)) رواه البخاري ومسلم . وقال عليه الصلاة والسلام : ((وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار)) رواه مسلم .

وأحول المارين على الصراط : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق)) قال حذيفة : قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ((ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد

الرجال، تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول:
رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل
فلا يستطيع السير إلا زحفا)) رواه مسلم

١١ -الإيمان بالنار :

ونؤمن بأن النار حق وأنها مخلوقة الآن وقد رآها النبي عليه
الصلاة والسلام في المعراج وقال تعالى : ((واتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) فكلمة أعدت
تدل على أنها مخلوقة ، قال عليه الصلاة والسلام : ((
والجنة حق والنار حق)) رواه البخاري ومسلم

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ناركم جزء من سبعين جزءا من
نار جهنم)) ، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: ((
فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها)) رواه
البخاري ومسلم .

والنار سبع طبقات ولكل قسم باب مؤصد ولكل قسم أهلها
قال تعالى : ((وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب

لكل باب منهم جزء مقسوم)) وقال تعالى : ((أنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة)) وطبقاتها من الأعلى للأسفل هي : (جهنم وتحتها لظى تحتها الحطمة تحتها السعير تحتها سقر تحتها الجحيم تحتها الهاوية)

١٢ -الإيمان بالجنة :

ونؤمن أن الجنة حق ، قال تعالى : ((تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا)) وقال عليه الصلاة والسلام ((والجنة حق والنار حق)) رواه البخاري ومسلم ، والجنة مخلوقة الآن ، قال تعالى : ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين)) وأول من يدخل الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، قال عليه الصلاة والسلام : ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة)) رواه مسلم ، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول

الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)) رواه مسلم .

والجنة فيها من النعيم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) رواه البخاري ومسلم وأعظم نعيم الجنة رؤية الله عز وجل ، قال الله تعالى : ((وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته)) رواه البخاري ومسلم .

وأعلى درجات الجنة الفردوس سقفها العرش ومنها تنبع انهار الجنة ومن أسماء الجنة : (جنة المأوى وجنة الخلد وجنة عدن ودار السلام ودار المقامة ودار المتقين)

١٣ -الإيمان بالقضاء والقدر :

ونؤمن بالقضاء وبالقدر خيره وشره ، قال الله تعالى : ((إنا كل شيء خلقناه بقدر)) وقال تعالى : ((بديع السماوات

والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)) رواه مسلم فالقضاء هو اجتماع المقدرات في اللوح المحفوظ ، والقدر هو بروز الممكنات ووقوعها مطابقة للقضاء ، ومثال القضاء : مخططات المهندس للمنزل ، ومثال القدر تنفيذ المخططات على أرض الواقع .

والإنسان مخير في كل أمر يوصف بأنه فرض وحرام ومندوب ومكروه ومباح ، وهو مسير فيما عدا ذلك كحياته وموته ونبض قلبه ولون بشرته وذكر أو أنثى و.. .

مسألة الكسب : الإنسان يختار بحرية والله إما أن يخلق له الفعل الموافق لاختياره وإما أن لا يخلق له الفعل ، فإن خلق الله له الفعل فإن العبد يكتسبه وينسب الفعل للعبد لأن العبد هو الذي اختاره وطلب حصوله .

مسألة الجبر : أحياناً يطلب الإنسان حصول معصية والله يمنعه منها ولا يحققها له ، بل يلجئه على فعل طاعة ، كمن ذهب ليشتري خمراً فشاهد مسكيناً فتصدق عليه ، وامتنع ذلك اليوم من شرب الخمر .

١٤ -الإيمان بالكتب السماوية :

نؤمن بالكتب السماوية وبالصحف التي أنزلت على الرسل وهي : التوراة والزبور والإنجيل والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى ، فقد أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم والتوراة على موسى عليه الصلاة والسلام والزبور على داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ((نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل)) وقال تعالى : ((وآتينا داود زبوراً)) وقال تعالى ((إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى)) وقال تعالى : ((وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة

وهدى وموعظة للمتقين)) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ، ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا موسى، عبدا آتاه الله التوراة ، وكلمه تكليما ، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم)) رواه البخاري

١٥ -الإيمان بالملائكة والجن :

ونؤمن بالملائكة إجمالا وتفصيلا ، لقوله تعالى : ((والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته)) لقوله عليه الصلاة والسلام : ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) رواه مسلم ، ومن التفصيلات أن نؤمن أن الملائكة ((لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)) وأنهم ((يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) وأنهم يصلون على النبي ((إن الله ملائكته يصلون على النبي)) وأنهم يشهدون مع الله ((شهد الله انه لا إله إلا هو الملائكة وأولى

العلم)) وأنهم سجدوا لآم ، وأنهم يستغفرون ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة من أن جبريل أمين الوحي وان ميكائيل الموكل بالأرزاق وإسرافيل الموكل بنفخ الروح ، وان ملك الموت الموكل بقبض الأرواح ، وان (منكر ونكير) موكلان بامتحان الميت ، وان لكل عبد ملكان حاضران مراقبان يكتبان أعمال العبد ، وان مالكاً خازن النار وأن رضوان خازن الجنان ، وأن حملة العرش ثمانية .

* ولا يجب اعتقاد أن هاروت ماروت من الملائكة فإن القصة فيها لا يؤمن عليها كذب المؤرخين.

*ومن أحوالهم المحاربة مع المؤمنين وحفظ العباد ورعايتهم في الرحم وتدبير الأمر من السماء إلى الأرض وسوق الرياح والسحاب وإرسال الحاصب وخسف الأرض وتعذيب

الهالكين ولعنهم وتبشير الصالحين كتبشيرهم لمريم وزكريا وإبراهيم وان الله يجعلهم رسلا للناس يحملون لهم السكينة ويشاركونهم صلاتهم وذكرهم ... وغير ذلك مما جاء ذكره في الكتاب والسنة ومن أراد معرفة كل شؤون الملائكة فعليه بكتاب (الإيمان بالملائكة) للشيخ عبد الله سراج الدين فإنه أفضل كتاب في هذا الباب .

الإيمان بالجن :

ونؤمن بوجود الجن وأنهم مخلوقون قبل آدم من مارج من سموم النار لقوله تعالى : ((والجان خلقناه من قبل من نار السموم)) ((وخلق الجان من مارج من نار)) السموم حر النار الشديد والمارج هو لهب النار الخالص . وأنهم مكلفون ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) وان الله منعهم من الاستماع للملائكة المكلة بتدبير الأوامر إلى الأرض ((فمن

يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)) وان الله صرف نفراً من الجن فسمعوا للنبي عليه الصلاة والسلام ثم ذهبوا إلى أقوامهم فأنذروهم وعلموهم ((قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به)) وان من الجن المؤمن الكافر والصالح والفاسق ((وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً)) ((ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)) وان الإنس والجن يستمتع بعضهم ببعض ، ((ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم))

١٦ -الإيمان بالعرش والكرسي :

ونؤمن بالعرش وهو مخلوق نوراني : قال تعالى : ((الرحمن على العرش استوى)) أي كما أخبر لا كما يخطر في الوهم ، ومن تناوشته شبهات المجسمة ولم يستطع إمرار اللفظ كما هو فيفسر له الاستواء :بأنه خلْق العرش وتدبيره وإتمام لوازم مجده وعظمته وكرامته. ونؤمن بأن العرش عظيم وكريم ومجيد وهو مخلوق على الماء ، قال تعالى : ((الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم)) ((هو رب العرش الكريم)) ((ذو العرش المجيدِ)) على قراءة خفض المجيد ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء)) رواه البخاري ،

وللعرش ملائكة يحملونه ويسبحون ((ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية)) وحول العرش تحف ملائكة يسبحون الله ((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)) والعرش يهتز لموت المؤمن قال

عليه الصلاة والسلام ((اهتز العرش لموت سعد بن معاذ))
رواه البخاري ،
وللعرش ظل يقي المؤمنين يوم القيامة من الشمس ، قال عليه الصلاة والسلام : ((المتحابون في الله في ظل العرش يوم القيامة)) رواه احمد وقال ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) رواه البخاري ومسلم
– ونؤمن بالكرسي وهو مخلوق نوارني يسع السموات والأرض ، قال تعالى : ((وسع كرسيه السموات والأرض))

17– الإيمان باللوح والقلم :

ونؤمن باللوح والقلم ، قال الله تعالى : ((بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ)) فهو محفوظ لا احد يغير شيئا منه إلا رب العزة فيمحو ما يشاء منه ويثبت ما يشاء ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) أم الكتاب هو كتاب فوق العرش

كما جاء في الصحيحين : ((لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي)) . وقال تعالى : ((ن * والقلم وما يسطرون)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: القدر قال: فكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)) رواه احمد

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الصالحين وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين .

اللهم اجعل هذه صحائف مقبولة عندك ومعروضة على رسولك الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليمات .

واكتب لها يا ربنا الكريم القبول في المسلمين وحقق لها النشر الواسع المبين في العصور واجعلها سهما في الهداية للإيمان الذي ترضاه إنك حميد مجيد .

وتجاوز عني وارزقني الورود على حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم ، واسقني من يده الشريفة وأكرمني بشفاعته ومنزلة القرب منه في الجنة إنك أكرم مسؤول وأكرم معطي .